كلية : الآداب

قسم : اللغة العربية

المرحلة : ألـثانـية

استاذ المادة : وليد سامي خليل سبع

اسم المادة باللغة العربية : الأدب الإسلامي

اسم المادة باللغة الانكليزية: Islamic literature

اسم المحاضرة الثانية باللغة العربية : تكملة في الدراسة التفصيلية لشعر حسان بن ثابت

اسم المحاضرة الثانية باللغة الانكليزية: A sequel to the detailed study of Hassan bin Thabit's poetry

وإذا كان المسلمون قد غيبوا جسده الشريف في القبر فإنما يغيبون خلقاً عظيماً من الحلم والعلم والرحمة ومن ثم فالحزن عام شمل جميع المسلمين شهدته السموات

والأرض

تذكر آلاء الرسول وما أرى لها محصياً نفس فنفسي تبلد

مفجعة قد شفها فقد أحمـــد فظلت لآلاء الرسول تعــدد

إلى أن يقول:

لقد غيبوا حلماً و علماً ورحمـة عشية علوه الثرى لا يوســـــد

وراحوا بحزن ليس فيهم نبيهـم وقد وهنت منهم ظهور وأعضــد

يبكون من تبكي السموات يومه ومن قد بكته الأرض فالناس أكمد

ويستمر في هذه القصيدة في رثاء الرسول(صلى الله عليه وسلم) جامعة بين شعوره الشخصي بالحزن عليه والشعور الجماعي بفقد النبي الهادي معدداً صفات القيادة التي اتسم بها الرسول(صلى الله عليه وسلم) والتي وجه فيها المسلمين في حياتهم الدينية وسلوكهم اليومي خاتماً قصيدته بأمله الكبير باللقاء به يوم البعث في جنة الخلد التي وعد بها المتقون..

وليس هوائى نازعاً عن ثنائـــــه لعلي به في جنــة الخلد أخـــلد

مع المصطفى أرجو بذاك جواره وفي نيل ذاك اليوم أسعى وأجهد

وهكذا يستمر حسان بن ثابت في قصائده الأخرى الراثية للرسول (صلى الله عليه وسلم) مؤكداً نوازعه الثلاثة، ألم شديد لفراق الرسول (صلى الله عليه وسلم) وشموخ خلقه وفعاله وخلود الرسالة التي حملها وبيان عاطفته ولهفته في أن يلقاه

في الجنة مصوراً عبر ذلك حزن المجموعة الإسلامية والفراغ الذي أحس به المسلمون حين فوجئوا بموته

أما مكانة شعر حسان من الناحية الفنية فقد ذكرت فيه أقوال كثيرة قديمة وحديثة وبنيت عليها آراء نقدية لعل أهمها ما له صلة بضعف لغة الشعر في الإسلام أو قوتها.

قال أبو عبيدة: فضل حسان الشعراء بثلاث: كان شاعر الأنصار في الجاهلية، وشاعر النبي في النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام، ونص أبو عبيدة على تفضيل حسان على شراء الحضر وهو رأي أبي عمرو بن العلاء أيضاً. قال أبو عمرو بن العلاء: «أشعر أهل الحضر حسان بن ثابت».

وقال أبو عبيدة: أجمعت العرب على أن حساناً أشعر أهل المدر

أما ابن سلام فقد عد فحول المدينة الخمسة هم حسان بن ثابت وكعب بن مالك وعبد الله بن رواحة وقيس بن الخطيم وأبو قيس بن الأصلت وأشعرهم حسان بن ثابت وقال عنه هو كثير الشعر جيده، وقد ذكر ابن سلام مقالة أحدهم بوصف بيت قاله حسان بأنه لو مزج به ماء البحر لمزجه. وتابعه على ذلك أبو الفرج الأصفهاني، أما الأصمعي فقد ذكر عنه أكثر من رأي عن حسان سبب نقاشاً وخلافاً بين الباحثين فقد ذكر عنه أنه وصفه بأنه أحد، فحول الشعراء ولكننا إذا راجعنا رسالته المسماة فحولة الشعراء لم نجد فيها ذكر لحسان بن ثابت ومع نجد محاورة بينه وبين وأبي حاتم السجستاني الذي يروي عنه كتابه فحولة الشعراء يذكر فيها الأخير أن في أشعار حسان ليناً فيجيبه الأصمعي تنسب إليه أشعار لا تصح عنه، وهذا يعني أن بعض أسباب الضعف والركة في شعر حسان مرده إلى شعره الموضوع عليه وقد أكد هذه الفكرة ابن سلام أيضاً حين أشار إلى كثرة الوضع على شعر حسان.

إلا أن الرأي الآخر الذي ذكر عن الأصمعي في تميزه بين شعر حسان الذي قاله قبل الإسلام وبعده فهو يرى أن شعر حسان قبل الإسلام من اجود الشعر. وهذا يعني أن شعره في الإسلام أقل منه جودة فإذا بحثنا عن سبب ذلك برأي الأصمعي وجدناهم ينسبون إليه تعليلاً مفاده «الشعر إذا أدخلته في باب الخير

لان، ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا في الجاهلية والإسلام فلما دخل شعره باب الخير من مراثي النبي وحمزة وجعفر غيرهم لان شعره، وطريق الشر هو طريق الفحول مثل امرىء القيس وزهير والنابغة من صفات الديار والرحلة الهجاء والمديح والتشبيب بالنساء و صفة الخمر والخيل والحروب والافتخار فإذا أدخلته في باب الخير لان.

إن أهم ما يمكن أن نناقش به هذا النص إن صحت نسبته إلى الأصمعي ما يأتي:

1-لم يكن شعر حسان قبل الإسلام في باب الشر حتى يقال إنه علا في الجاهلية فإذا دخل في خير الإسلام لان، لأنه لم يؤثر عن حسان اشتراكه في حروب قومه وقوة شعره تبعاً لذلك لأن حياة حسان قبل الإسلام كان حياة وادعة مترفة حياة شاعر يسكن الحضر فهو بين يثرب ودمشق وما في المدينتين من ترف واستقرار يؤديان بالتأكيد إلى سلاسة لغته الشعرية.

2-إن شعر حسان الذي قاله قبل الإسلام لم يكن على نمط واحد ولم يكن كله بمستوى الإبداع والجودة الذي قد نتخيله إذا سمعنا برأي الأصمعي إنما شعره متفاوت بين الجدة والإبداع والركة والسهولة وكذا كان شعره الإسلامي وإنك لتجد الفرق كبيراً من حيث الجزالة وخفة الألفاظ وجمال التصوير وتتابع المعاني الواردة في قصيدته اللامية التي قالها قبل الإسلام وبين قصيدة أخرى قالها في الوقت نفسه يرد فيها على قيس بن الخطيم يقول حسان في رائعته الأولى:

لله در عصابة نادمتهم يوماً بجلق في الزمان الأول

3-إن كثيراً من أشعاره التي بدت ضعيفة ركيكة يمكن أن تدرج تحت الشعر الموضوع الذي نص القدماء على كثرة وضعه على لسان حسان لسبب من أسباب الانتحال المعروفة.

4-ان الدراسة التحليلية لمراثي حسان في الرسول(صلى الله عليه وسلم) أو في شهداء المسلمين تؤكد خلاف رأي الأصمعي لأننا وجدنا فيها صدقاً في العاطفة و اندفاعاً في تسخير هذه المراثي في سبيل الدعوة الإسلامية، وهذا مبدأ ما كأن

يدفع حسان في مراثية التي قالها قبل الإسلام والتي بدا بعضها خالية من الروح والعاطفة

5- يضاف إلى كل هذا أن التفاوت في شعر حسان مرده إلى طبيعة الدعوة الإسلامية التي عاشت ظروفاً صعبة ومختلفة جعلت الشعر إحدى وسائلها في المواقف، وقد عرف عن حسان أنه كان يرتجل في كثير من المواقف، وهذا الارتجال قد يبدع فيه حسان أو قد لا يتجاوز فيه النظم والرد على المشركين فمقتضيات الأمر تتطلب منه الوقوف إلى جنب المسلمين والدفاع عنهم إزاء أبيات قيلت فيهم. قد يصيب فيها حسان في الإجادة الفنية أو قد يخطىء ولكنه يبقى ملتزماً فيما وجه إليه مما جعل شعره سلاحاً بناء يخدم الدعوة والمسلمين.

قصيدة وتحليل

قال حسان بن ثابت:

عفت ذات الأصابع فالجواء إلى عذراء منزلها خـــلاء
ديار من بني الحسحاس قفر تعفيها الروامس والسـماء
وكانت لا يزال بها أنيـــس خلال مروجها نعم و شياء
عدمنا خيلنا إن لم تروهـــا تثير النقع موعدها كـــداء
يبارين الأعنة مصعـــدات على أكتافها الأسل الظماء
لنا في كل يوم من معـــــد سباب أو قتال أو هجـــاء
فنحكم بالقوافي من هجانـــا ونضرب حين تختلط الدماء
ألا أبلغ أبا سفيان عـــــني فأنت مجوف نخب هـــواء
بأن سيوفنا تركتك عـــبداً وعبد الدار سادتها الإمـــاء
فمن يهجو رسول الله منـكم ويمدحه وينصره ســـــواء
فإن أبي ووالده وعرضـــي لعرض محمد منكم وقـــاء

لساني صارم لا عيب فيـه وبحري لا تكدره الـــــــدلاء

التحليل والنقد

جو القصيدة

ورد في إحدى نسخ ديوان حسان أنه قال هذه القصيدة قبل فتح مكة يرثي أبا سفيان بن الحارث وقال بعضهم إنها أول ما جرى به لسان حسان حين سله على قريش وهناك من ذكر أنها قيلت يوم فتح مكة، وربما كان هذا القول معتمداً على عبارة وردت في السيرة النبوية. وكان مما قيل من الشعر في يوم الفتح قول حسان بن ثابت وهذا القول غير كاف لأن ابن هشام ذكر بعد رواية القصيدة ما يؤكد قول حسان لها قبل الفتح قائلا: (قالها حسان قبل يوم الفتح). ويبدو أن عبارة ابن هشام الأولى أراد بها ما أنشد يوم الفتح فقد قيل إن الرسول(صلى الله عليه وسلم) نفسه أنشد بيت حسان (تلطمهن بالخمر النساء) وقيل أيضاً إن رسول الله(صلى الله عليه وسلم) رأى يوم فتح مكة نساء أهلها يضربن في وجوه الخيل فقال : صدق حسان وذلك حين رأى خيول المسلمين الفاتحة وهي تقتحم شعاب مكة، والأبيات نفسها تدلنا دلالة قاطعة على أن معظمها قيل قبل الفتح، هجا فيها حسان بن ثابت أبا سفيان وهدد فيها قريشا كلها بالفتح ناقلاً رغبة المسلمين وتشوقهم إلى زيارة الكعبة وأداء العمرة سلماً وإلا فلتستعد قريش لحرب المسلمين لأنها بذلك تخالف بند من بنود صلح الحديبية المشهور.